

بين الشيوخ والشباب

للاستاذ عباس خضر

مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ وضرب مثلاً للشباب ما بذله من جهود في التحصيل وما عاياه في مستقبل حياته الأدبية .

وأخيراً كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً في « أخبار اليوم » بعنوان « آمال الجيل » أشهد أنه كان إيقاعاً فيه ، إذ بحث في أوله وفي وسطه روحاً طيباً في معالجة العلاقة بين الجيلين . وبما قاله « ما الذي سيحدث في العشرة أو الخمسة عشر عاماً المقبلة ؟ هل الأمل مفعود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها في الصف الأول ، لتضفي في رفع مشعل الأدب والفكر في هذا البلد ؟ ! أو أنه كما يقال ليس في الإمكان أبدع مما كان ؟ ! » وقال : « ونحن إذا جلنا اليوم في حديقة الأدب المصري لوجدنا أشجاراً مملوءة بمصير الحياة ، مونة بأزهار الفن .. لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ما ستكون عليه غداً من سمو وارتفاع .. » ومضى يتساءل عن واجههم نحو أعلام الفن ويعترف بانصرافهم عنهم إلى أن ختم المقال بقوله : « غير أن المشكلة التي نحيزنا دائماً هي : وسيلة المعونة .. أم هي في تجنيب الجيل الجديد

تجربى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب ، تتمثل في نقداً خفيفة من الشباب للشيوخ ، قليلاً في أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تنقيداً لـ « لك بعضهم في الإنتاج الثقافي السلف الذي يختلف عن سابق جدهم وإبداعهم ، ولبعد أكثرهم عن ملاسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم — في رأى الشباب وبعض الشيوخ — إما هاذرون مستون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضاً في حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور في التحصيل واستكمال الأداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون إن عليهم أن يجردوا ويكدوا ليصلوا إلى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ للآزني

تطاول الزمن ، ومهما جسمت التمهجيات .

ولقد سبق للغرب أن شن هجومه على الشرق باسم الدين ، في الحروب الصليبية ، وفي فلسطين نفسها ، فلم يهن العرب ، وبقيت الحرب بينهم وبين أوروبا سجلاً قرابة قرنين من الزمن القاسي ، تمكنت في نهايته من طردهم منها . وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ويحمل إلى شواطئ فلسطين جهات مشردة ، أفاقة ، مجرمة ، من الهوان على أنفسهم وعلى الحقيقة ، أن يحسب لهم العرب حساباً ، مهما امتلأت أيديهم من أدوات الفتك والتدمير والقدر والندالة التي يطفح بها تاريخهم القديم والحديث ، إن جاز أن يكون للجاعات من هذا النوع تاريخ أو ما يشبه قصة تفوح منها روائح القبور والجيف .

إن العرب وهم شعب عريق في المجد ، لن يقابل أعمال اليهود البربرية بمثلها ، بل يعضي وراء أولئك الأندال أشباه الرجال ، يملهم درساً قاسياً ، ويهدم على رؤوسهم المجرمة ، صروح الأوهام ، متبماً في ذلك وسية أبي بكر ، أول خليفة ، لأول جيش يفيض على أطراف الهلال الخصيب من الجزيرة الجبارة ، من عدم

الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ . وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس ، نباحوا بأن خيولهم كانت تسبح في دماء النساء والأطفال والشيوخ الذين استجاروا برحاب المسجد الأقصى فذبجهم فيه . ولكن سلاح الدين الأيوبي حفر دماء أولئك القساة ، وسمح لهم بالخروج من بيت المقدس حين تم له طردهم منها ولو عقل اليهود ، وقدر لهم ، أن ينظروا إلى قلوب العرب السكرمة الرحيمة ، قبل هذه البربرية ، لوجدوها تفيض بالختان والرحمة ، ولنا كدوا من أنها أبر بهم وأحنى عليهم من تلك القلوب المستعمرة التي تتخذ الآن وسيلة الاعتداء على حرية العرب الذين طاموا أغدقوا عليهم العطف في كل عصور التاريخ . والعرب في كافة أقطارهم ، مصممون على سحق الصهيونية المجرمة ، في فلسطين ، لا حباً في سفك الدماء ، ولكن دفاعاً عن الشرف العربي الذي استباحوه في رعونة جنونية . والربل لهم حيناً تدنو ساعة الانتقام والثأر لشرف المسلمات في دير ياسين ، اللال طاماً صرخن ، وامتصاهن وللعرب سبعة متممين الآن يثأرون للشرف المشباح . وسيملم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

على محمد سرطاري

والكرامة من الشباب فالتك دعواهم ، إنعام يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا بدأ ، وهم إزاء ما يشاهدون من إسفاف الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فإن لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم في الطريق إليه . أما النقد الأدبي ، فقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة في الدعة الذهنية ؟ فإن الشباب يحاولونه . وتوقعهم عوائق كثيراً ما تأتي من الشخصيات التي يتناولها النقد ؟ فما يكاد يظهر نقد في صحيفة حتى يصيح المنقود : هؤلاء الشباب الذين لم يقرأوا كما كنا نقرأ ... الخ — يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة في أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبي ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفاً . أكان أساتذتنا أدياء الجيل مترفقين في نقد من كان قبلهم ... ؟ أو في نقد بعضهم بمضاً أيام الخماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب .. ولا شك أن لغة النقد الآن — على قلته — قد ارتقت وهذبت . بل هي رقت إلى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيق من ذلك ماضيه في النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض في النقد الأدبي ، وهو لا يعيل إلى الاشتباك في المارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوباً « حكيمياً » في الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يقدم فصلاً في أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يناج موضوعاً مستقلاً ، وما هو في الواقع إلا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها في ذلك إلى شيء كتب عنه . ثم جاء أخيراً يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش ياسيدي وجهك لوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتاج الكبار في هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيراً من الكبار أنفسهم ، ويمز على الجيل الجديد أن يفجع في أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنمه هؤلاء الأساتذة أن ينفذوا الغبار عن نماثيلهم القديمة المقدسة لدى الشباب ..

أخطأنا ، أم هي في إشعاره بأخطائه ؟ أم هي في إعداده قبل الظهور ، أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ أتم أولئك الذين فعلوا في فهم شوطاً وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألفة كقطع النور ، أعلينا إزاهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل إلى الوفاء به ؟ .. إنا جميعاً لعل استعداد أن تؤدي واجبنا ولن نحجم عنه أبداً ، إذا عرفنا الوسائل وملكننا الأسباب ! »

ولا أراني في حاجة إلى تسدر كبير من الألمية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الختام الذي انحسرت عنه تلك الروح الطيبة .. وقد استعان على إبراز هذا المقصود بمبارات التهمك من مثل « أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ! » كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التي حرصت على إثباتها في مواضعها . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ . فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث أن كلا منهما يرى إلى مكافئة الكتلة الأخرى .. فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتناولون علينا — ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولحكي أثبت للأستاذ الحكيم حيادي وبراءة هذا الذي أكتبته من تلك النواشات التي لن تقضي إلى حرب ذرية على أي حال — أسارع فأقره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب ، وإن في هذه الثروة الأدبية الضخمة التي كونها أدياء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلاً ، فما هو الإعداد إن لم يكن هذا ؟ أيقعدون لهم فصولاً في النصح والإرشاد ؟ ولا أخفي أنني أبتسم عند ما أسمع أن كبار الأدياء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيدهم .. إلى آخر هذا الكلام الذي لا أرجعه إلا إلى العي ...

على أن هناك جانباً عملياً لا يملك كل الكبار فيه شبيكاً ، وهو النشر والتشجيع على الإنتاج . ومن الحق أن أقول أن من يهدم شيء من ذلك نراه يشجعون كثيراً من الشباب الناشئين ويقومونهم ، وإن كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين في ركابه ..

ولا أريد أن أسترسل في ذلك الذي جرتني إليه دعوى ذوي الي والراغبين في الوصول دون عناء . أما ذوو الكفاية